



الأثر الفارسي في انحراف التشيع

أهداي أحد أعلام العراق كتاب «التشيع العربي والتشيع الفارسي» للباحث العراقي نبيل الحيدري، وهو يتحدث عن دور الفرس التارخي في انحراف التشيع، وقد بعث معه إلى برسالة، جاء فيها: «نحن اليوم بحاجة كبيرة للتخصص، وقد يسر الله لكم معرفة الشيعة وما يعتقدون، وهم اليوم يتمندون في أكثر من بلد، ويحلمون بإعادة إمبراطورية نفقت منذ قرون، ومن المفيد كشف ما عندهم، ونبيل الحيدري عراقي من أسرة شيعية معروفة، وفي (التشيع) قد قام بمسح واسع على المراجع الشيعية، وقد وددت أن تكون لديكم نسخة تضاف لما عندكم. سدد الله خطاك، وأجزل مثوبتكم، وأفاد بما تكتبون».

والحقيقة، إن موضوع هذه الدراسة في غاية الأهمية، وقد كتبت قبل ثلاثين سنة في كتابي «أصول مذهب الشيعة» عن الجنور الفارسية للتشيع الغالي، وذكرت بالأدلة كيف أثرت هذه الجنور الفارسية الدخلية على التشيع في تشكيل وتأسیس العقائد الغالية والمنحرفة.

ولعل من أخطر آثارها، وأعظم أسباب استمرارها ما يلي:

الأول: ربط الملالي أتباعهم بالمصادر التي وضعها الغلاة من **الفرس**، وتم اعتمادها من العصر الصفوي إلى اليوم حتى أصبحت العameda في تلقي دينهم، والأساس في اعتقادهم، ولذا يقول الحيدري: «ألف الفرس الكتب الحديثية الأربع كمرجع أعلى للحديث، وكلهم (الكليني والقمي والطوسي) من الفرس الذين وضعوا من الانحرافات والبدع الكثير حتى صارت مرجعاً مقدساً لكل من جاء بعدهم» [1].

الثاني: ربط أتباعهم برجال الدين أو من يسمونهم بالمرابع في جميع شؤونهم الدينية والاجتماعية، وإضفاء القدسية عليهم، حال النصارى مع قساوستهم في القرون الوسطى.

الثالث: زرع الأحقاد، وتوجيجها في نفوس الأتباع بواسطة المآتم التي تبث فيها حكايات الصراع المكذوبة بين الآل والأصحاب، وقصص المظالم المزعومة، ولذا قال الخميني إن هذه المآتم هي التي حفظت دينهم من الاندثار طيلة أربعة عشر قرناً [2].

الرابع: **الخمس الذي من خلاله يمولون نشاطاتهم، وينشرون باطلهم.**

الخامس: المتعة التي يغرون بواسطتها أصحاب الشهوات المحرمة.

وكل واحد من هذه الأمور يستغرق الحديث عنه مئات الصفحات، ويؤكده عشرات النصوص من مصادرهم المعتمدة.

وأما الجذور الفارسية التي ساهمت في انحراف التشيع فتظهر فيما يلي:

أولاً: ما قرره ابن حزم والمقرizi من أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلاله الخطر في أنفسهم بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد، وكانتوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب - كان العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً - تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، وفي كل ذلك يظهر الله الحق، فرأوا أن كيده على الحيلة أرجع، فأظهر قوم منهم الإسلام واستعملوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت، واستبشار ظلم علي - بزعمهم - ثم سلكوا بهم مسالك حتى أخرجوهم عن طريق الهدى[3].

ثانياً: كان الأعلام الفرس يدينون بالملك والوراثة في البيت المالك[4]، ولا يعرفون معنى الانتخاب الخليفة، وقد انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، ولم يترك ولداً، فأولى الناس بعده ابن عمّه علي بن أبي طالب، فمن أخذ الخلافة كأبي بكر وعمر وعثمان، فقد اغتصب الخليفة من مستحقها، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «إنا نعتقد أن الشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسية حول الملك والوراثة، والتتشابه بين مذهبهم ونظام الملك الفارسي واضح، ويزكي هذا أن أكثر أهل فارس من الشيعة، وأن الشيعة الأولين كانوا من فارس»[5].

هذا، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوص لأحد من قرابته، وهذا من دلائل نبوته؛ لئلا يقال: أوصى لقرباته من بعده لأنه طالب ملك، كما لم يترك مالاً لورثته من بعده؛ لئلا يقال: طالب مال، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يقتسم ورثتي ديناراً ولا درهماً، ما تركت بعد نفقة نسائي، ومئونة عاملٍ فهو صدقة»[6]، بل أوصى الناس من بعده بقرباته وأهل بيته إشارة إلى أن الخلافة لا تكون فيهم، وإنما أوصى أهل بيته الناس بهم.

ثالثاً: اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى التقديس، فنظروا هذا النظر نفسه إلى علي رضي الله عنه وذريته[7]، وكثير من الفرس دخلوا في الإسلام ولم يتجردوا من كل عقائدهم السابقة التي توارثوها أجيالاً، وبمرور الزمان صبغوا آراءهم القديمة بصبغة إسلامية، فنظرة الشيعة إلى علي وأبنائه هي نظرة آبائهم الأولين إلى الملوك الساسانيين.

رابعاً: حينما فتح المسلمون بلاد الفرس تزوج الحسين بن علي - رضي الله عنه - ابنة يزدجرد أحد ملوك إيران، بعدما جاءت مع الأسرى فولدت له علي بن الحسين، وقد رأى الفرس في أولادها من الحسين وارثين لملوكهم الأقدمين، ورأوا أن الدم الذي يجري في عرق علي بن الحسين وفي أولاده دم فارسي من قبل أمّه ابنة يزدجرد والذي هو من سلالة الملوك الساسانيين المقدسين عندهم[8].

خامساً: يتجلّ الأصل الفارسي أيضاً في روايات عديدة عند الإثنى عشرية، تفرد سلمان الفارسي رضي الله عنه وبرأه الله مما يفتررون - بخصائص وصفات فوق مرتبة البشر، حيث جاء في أخبارهم: «أن سلمان باب الله في الأرض، من عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً»[9].

بل بلغ الغلو ببعض الفرق الشيعية أن قالت بتاليه سلمان، وقد وجدت هذه الفرقة في عصر أبي الحسن الأشعري المتوفى

سنة 330هـ، وأشار إليها في مقالاته حيث قال: «وقد قال في عصرنا هذا قائلون بـألوهية سلمان الفارسي»[10].

سادساً: تعظيم الإثنى عشرية لبعض العناصر الفارسية التي شاركت في التآمر والكيد ضد دولة الخلافة الراشدة وهو «أبو لؤلؤة الفارسي المجوسي» قاتل الخليفة العظيم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد أطلق عليه عندهم «بابا شجاع الدين»[11]، واعتبروا يوم مقتل عمر رضي الله عنه على يد هذا المجوسي عيداً من أعيادهم، وقد ساق شيخهم الجزائري روایات لهم في ذلك[12].

سابعاً: يعظمون بعض أعياد الفرس ومناسباتهم الدينية، فتراهم في يوم النیروز كفعل المجرم[13]، وقد اعترفت أخبارهم بأن يوم النیروز من أعياد الفرس[14].

ثامناً: ظهر أثر هذه الجذور الفارسية في انحراف التشيع وغلوه في كثير من العقائد التي صارت فيما بعد من أصول المذهب وأركان التشيع، ومن ذلك:

1- الدعاوى الغالية في الأئمة، والتي ترفع الأئمة إلى مقام الألوهية، ويسمونها معجزات وكلها - أو جلها - عقائد موروثة عن المjosية الذين دخلوا في سلك التشيع للكيد للإسلام أو لإظهار عقائدهم باسم الإسلام ذلك أن «المجوس تدعى لزرادشت من المعجزات والآيات أكثر مما يدعى النصارى»[15].

2- ورثت الإثنى عشرية عصمة الأئمة التي هي من أصول عقائدهم وأركان مذهبهم عن المjos، ذلك أن المjos تدعى في منظيرهم الذي ينتظرون وأصحابه أنهم لا يكتبون، ولا يعصون الله، ولا يقع منهم خطيئة صغيرة ولا كبيرة[16].

3- عقيدة الإثنى عشرية في المهدية والغيبة ترجع إلى أصول مجوسية أيضاً، فالشيعة أكثرهم من الفرس، والفرس من أديانهم المjosية، والمjos تدعى أن لهم منظراً حياً باقياً مهدياً من ولد بشناسف بن بهراسف يُقال له: أبشاؤن، وأنه في حصن عظيم بين خراسان والصين[17].

4- ترى في بعض مواد الدستور الإيراني النعرة الفارسية، واللوثة القومية، يقول الأصل الخامس عشر من الدستور: «اللغة والكتابة الرسمية والعامية هي الفارسية لشعب إيران، فيجب أن تكون الوثائق والمراسلات والمدون الرسمية والكتب الدراسية بهذه اللغة»، فترى أن هذه المادة موضوعة على أساس القومية الإيرانية الفارسية؛ لأن للإسلام لغة واحدة هي العربية لا باعتبارها لغة القرآن والسنة ولغة رسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين.

5- جاء في المادة الثانية من الدستور أن العمدة عندهم في التقلي هي المصادر التي جمعها **شيوخهم** الفرس، وضمنها روایات غالبية مكذوبة نسبوها زوراً لبعض أهل البيت، فهو بهذا وغيره لا يمثل دستور دولة إسلامية، وإنما يمثل دولة فارسية، عنصرية، ورافضية جعفرية، ولا يأخذ أحکامه من الكتاب والسنة، وإنما يرتبط بروايات الكليني والمجلسي وأضرابهما من الغلة التي يسمونها - كما جاء في المادة الثانية من دستورهم - «سنة المعصومين»[18].

6- ظهور الإلحاد وانتشار الإباحية على يد الخرمية ذات الأصول المزدكية الفارسية، ومعلوم أن الخرمية فرقتان: فرقة منهم كانت قبل دولة الإسلام، وهم أتباع مزدك الإباحي دعاة الاشتراك في الأموال والأبضاع، الذين أفسدوا بلاد الفرس فقضى عليهم أنو شروان الملك الساساني الملقب بالعادل، والذي توفي قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، والفرقعة الثانية من الخرمية ظهروا في دولة الإسلام كالبابكية أتباع بابك الخرمي الذي ظهر بناحية أذربيجان، وكثير أتباعه، وكان يستحل المحرمات كلها وهزم كثيراً من عساكر بني العباس في مدة عشرين سنة إلى أن أسر مع أخيه إسحاق، وصلب بـ«سر من رأى» في أيام المعتصم سنة 223هـ.

ولا شك في أن الخرمية الذين ظهروا في الإسلام هم امتداد للديانة الفارسية القديمة (المزدكية) الأولى، وهم الذين زادوا في انحراف التشيع، ولذلك قال النوبختي الشيعي: «ومنهم كان بداء الغلو في القول حتى قالوا: إن الأئمة آلهة وإنهم أنبياء وإنهم رسول، وقالوا بالتناسخ وإبطال القيامة»[19].

7- إن الحقد الذي أكل قلوب المجوسية إزاء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أقاموا دولة الإسلام، وفتحوا ديار هؤلاء المجوس، ونشروا الإسلام بينهم، وأطفؤوا نار المجوسية والوثنية في بلادهم؛ جعلهم ينفثون أحقادهم وضغائنهم في سب أولئك الصحابة والطعن فيهم، ولكن آيات الله التي تتلى على مر الزمان وهي تتنى على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلي من شأنهم وتنشر فضائلهم قد كشفت كيدهم ورده في نحورهم، فلم يكن أمامهم إلا القول بأن الصحابة قد أسقطوا من القرآن فضائح المهاجرين والأنصار، وأرادوا بهذه المقوله التستر على مذهبهم، فكانت من أسباب اكتشافهم وهتك أستارهم ورفع النقانع عن وجوههم الحقيقية المعادية للإسلام والمسلمين، ولذلك امتلأت مصادرهم بما دسته الشعوبية من عداوة مفعولة بين الصحابة والآل، القصد منها تفريق الأمة وزرع العداوة بينها.

8- الشعوبية المقيمة البغيضة وعداؤهم للجنس العربي (سته وشيعة)، فهم يكنون كل حقد وكراهية للعرب، لا لمجرد جنسيتهم؛ ولكن للدين الذي يحملونه ويسعون في نشره.

فقد افتروا بأن علياً رضي الله عنه قال: «إن عندي صحفاً كثيرة.. وإن فيها لصحيفة يقال لها: العبيطة، وما ورد عن العرب أشد عليهم منها، وإن فيها لستين قبيلة من العرب بهرجة[20] ما لها في دين الله من نصيب»[21].

ومن ذلك أنهم يحلمون بوقوع قتل عام شامل للجنس العربي واستئصال وجوده على يد مهديهم المنتظر، ولذلك فإن أخبارهم تعد العرب بملحمة على يد غائبيهم - إذا رجع - لا تبقي ولا تذر على رجل أو امرأة ولا صغير ولا كبير، بل تأخذهم جميعاً فلا تغادر منهم أحداً. فيروي النعماني عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: «ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح»[22].

ومن المعلوم أن في العرب شيعة، ومع ذلك لا تفرق روایتهم هذه بين شيعة العرب وغيرهم، بل تؤكد أخبارهم أنه لن يتسيّع أحد من العرب للقائم، ولهذا تحذر منهم فتقول: «اتق العرب؛ فإن لهم خبر سوء، أما إنه لم يخرج مع القائم منهم واحد»[23]. ولكن في الشيعة من العرب كثير غير أن أخبارهم تقول بأنهم سيمحصون فلا يبقى منهم إلا النذر اليسير[24]، وتقول روایاتهم إن القائم «يُبهر سبعين قبيلة من قبائل العرب»[25].

ويخصوص قبيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قريش) التي منها صفة أصحابه بالذكر التفصيلي لعمليات القتل التي يجريها عليها القائم، ففي الإرشاد للمفید، عن عبد الله بن المغيرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا قام القائم من آل محمد - عليه السلام - أقام خمسمائة من قريش فضرب عناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب عناقهم، ثم خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات، قلت: ويبلغ عدد هؤلاء هذا؟ قال: نعم منهم ومن مواليهم»[26].

ولا يخفى أن تخصيص العرب بالقتل يدل على تغلغل الاتجاه الشعوبي لدى واضعي هذه الروايات، وهي تبين مدى العداوة للجنس العربي لدى مؤسسي الرفض، والرغبة في التشفى منهم بقتلهم، وذلك - في حقيقة الأمر - لا يعود لجنسيتهم بل للدين الذي يحملونه.

وكما كان للأثر الفارسي المجوسي أثره في انحراف التشيع فقد كان لليهود أيضاً أثراً[27]، وكان لغير اليهودية من أصحاب المعتقدات والأديان أثراً، ولذلك اتفق أهل العلم على أن التشيع كان ملجاً يأوي إليه كل من أراد الكيد للإسلام وأهله.

وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن المنتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس والروم واليونان والنصارى واليهود وغيرهم أموراً مزجوها بالتشيع، ويقول: وهذا تصديق لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وساق بعض الأحاديث الواردة في أن هذه الأمة ستركب سنن من كان قبلها، وقال: بأن هذا بعينه صار في المنتسبين للتشيع[28].

[1] التشيع العربي والتسيع الفارسي: ص.9.

[2] جريدة «الاطلاعات» العدد 15901 (1399/8/16هـ) بتاريخ (عن كتاب إقناع اللائم على إقامة المآتم صفحة الغلاف).

[3] ابن حزم/ الفصل: 2/273 . وانظر: المقرizi/ الخطط: 2/362.

[4] انظر: منهاج السنة النبوية: 6 / 456، تاريخ المذاهب الإسلامية: 1/37 .

[5] محمد أبو زهرة/ تاريخ المذاهب الإسلامية: 1/38 .

[6] أخرجه البخاري (ح 2776).

[7] انظر: محمد أبو زهرة/ تاريخ المذاهب الإسلامية: 1/37 ، أحمد أمين/ فجر الإسلام: ص277، عرفان عبد الحميد/ دراسات في الفرق: 23، فلهوزن/ أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام: ص168، فلوتن/ السيادة العربية: ص.76.

[8] انظر في أن أم علي بن الحسين هي ابنة يزدجرد: تاريخ اليعقوبي: 2/247 . وانظر في أثر ذلك: سميرة الليثي/ الزندقة والشعوبية: ص56، عبد الله الغريب/ وجاء دور المجنوس: ص77، النشار/ نشأة الفكر الفلسفية: 2/11، عبد الرزاق الحصان/ المهدى والمهدوية: ص82، رونلسن/ عقيدة الشيعة: ص101 .

[9] رجال الكشي: ص15 ، وانظر: رجال الكشي: ص16-19 .

[10] مقالات إسلاميين: 1/80 .

[11] انظر: عباس القمي/ الكنى والألقاب: 2/55 .

[12] انظر: الأنوار النعمانية: 1/108 .

[13] انظر: الأعلمي/ مقتيس الآخر: 202-203، المجلسي/ بحار الأنوار، باب عمل يوم النيروز: 419/98، وانظر: وسائل الشيعة، باب استحباب صوم يوم النيروز والغسل فيه، وليس أنظف الثياب والطيب: 7/346 .

[14] انظر: بحار الأنوار: 108/48 .

[15] «تثبيت دلائل النبوة» (1/185).).

[16] «تثبيت دلائل النبوة» (1/179).).

[17] «تثبيت دلائل النبوة» (1/179).).

[18] «الدستور» (ص15-16).

[19] انظر: التوخيتي/ فرق الشيعة ص36، ابن النديم/ الفهرست: ص342-344، الإسفرايني/ التبصير في الدين: ص79-80، المططي/ التنبيه والرد: ص22، الغزالى/ فضائح الباطنية: ص14 وما بعدها.

[20] المبهرج: الباطل الرديء، والمبهرج من المياه: المهمل الذي لا يمنع عنه، ومن الدماء: المهدر (القاموس: 1/180).

[21] «بحار الأنوار» (26/37)، «بصائر الدرجات»: ص41.

[22] الغيبة للنعماني: ص155 ، بحار الأنوار: 52/349 .

[23] الغيبة للطوسي: ص284، بحار الأنوار: 52/333 .

[24] انظر: الغيبة للنعماني: ص137، بحار الأنوار: 52/114.

[25] بهرج الدماء: أهدرها، وفي الطبعة الأخرى للبحار: «بهرج»، ومعنى الهرج: الفتنة والاختلاط والقتل (انظر: بحار الأنوار: 52/333، هامش 1).

[26] الإرشاد: ص411، بحار الأنوار: 52/338.

[27] وسياقي الحديث عنه – إن شاء الله – في دراسة خاصة.

[28] منهاج السنة: 4/147، وانظر الأحاديث في ذلك في: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»: 8/151. وفي صحيح مسلم، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» رقم (2669).

مجلة البيان العدد 345

المصادر: